الامـــام سحنـون (الـمصلح المجتهـد)

160-240 هـ / 774-854 م

الاستاذ : موهوبي نور الدين
جامعة يحي فارس
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
معهد : التاريخ

1- المقدمة:

لقد أنجبت الحضارة الإسلامية الكثير من إعلام الفقه ممن كان لهم دور بارز في بناء صرحها العقلي والروحي وإثراء تراثها التشريعي والعقلي وتطوير قدرتها المادية والمعنوية وبناء نسيجها السياسي والاجتماعي والروحي في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية ومن أبرز هؤلاء الشيخ سحنون.

2- التعريف به:

وهو أبوسعيد عبد السلام سحنون بن حبيب التنوخي القيرواني أصله شامي من حمص،[1] ولد سنة 160 هجـــ/777م، بالقيروان ونشأ بها ثم رحل إلى تونس ثم إلى المشرق ثم عاد إلى إفريقيا سنة 191هجـــ/807م، وتفرغ لنشر المذهب المالكي ومحاربة البدع وعين في الإفتاء ثم في القضاء سنة 234هجـــ/849م، واستمر فيه إلى أن توفي سنة 240هجـــ/854م.[2]

---

[1] ابن فرحون: كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص160.

[2] مجلة الثقافة: العدد 81 شعبان، رمضان 1404 مايويونيو1984 ص39.

على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس واللخمي وابن محرز والتونسي وابن بشير وأمثالهم.[1]

وثالثا: قد حصل للشيخ اثر طيب سواء على المستوى الشعبي والعلمي وعن ذلك يقول ابن خلكان (وعلى كتاب سحنون يعمل أهل القيروان وحصل له الأصحاب والتلامذة ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك مثله عنه.[2]

ورابعا: حظي الشيخ سحنون كما قلنا بإعجاب الكثير فأعجب به أهل الأندلس وتوافدوا عليه تباعا واتخذوه مثالا به وبسيرته يعمل وجعلوه قدوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على غرار الفقيه والمحدث المشهور محمد بن وضاح ووصل العدد الإجمالي لطلبة سحنون الأندلسيين 74 طالبا وكانت الحصيلة أن أصبح طلبته مفتين وقضاة ورواة حديث ومؤلفين وهذا مؤشر على ما مثلته بلاد المغرب الأدنى وحاضرتها القيروان من دور بارز في نشر المذهب المالكي بالغرب الإسلامي كمركز استقطاب علمي شدت إليه الرحال من كل حدب وصوب للكتب.[3]

خامسا: للشيخ سحنون أثار أدبية سجلتها له المصادر التاريخية وهي عبارة عن أقوال مأثورة عنه (قال لابنه محمد يا بني سلم على الناس فإن ذلك يزرع المودة وسلم على عدوك وداره فإن رأس الإيمان بالله داراة الناس وكان يقول ما لم يعمل بعلمه لم ينفعه العلم بل يضره وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب فإذا عمل به نور قلبه وإن لم يعمل به وأحب الدنيا

---

[1] ابن خلدون: المقدمة ص807.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان مكتبة النهضة المصرية ج2 ص354.

[3] رسالة دكتوراه: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 02 عنوانها العلاقات الثقافية بين الدولة الأغلبية والإمارة الأموية في الأندلس 184-296-800-908م، طيب بوسعد ص169-170.

قلبه و لم ينوره العلم وكان يقول ترك الحلال أفضل من جميع عبادات الله تعالى وترك الحلال لله أفضل من أخذه وإنفاقه في طاعة الله تعالى وقال ترك دانق مما حرم الله أفضل من سبعين حجة تتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة وأفضل من سبعين ألف فرس في سبيل الله بزادها وسلاحها ومن سبعين ألف بدنة تهديها إلى بيت الله العتيق وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل وقال إذا تردد الرجل على القاضي ثلاث مرات بلا حاجة فلا تجوز شهادته ووجه ذلك أن التردد إلى القاضي من غير حاجة بكسب الرجل مكانة عند الناس ومنزله يكرمونه ويهادونه لأجلها لما يتوهمون من منزلته عند القاضي بسبب تردده إليه فيصير تردده سببا لأكل المال بالباطل وراء الناس يقبلون يد ابن الأغلب فقال له لم تعطيهم يدك لوكان هذا لأجل قربك من الجنة ما سبقونا إليه.[1]

ويتبين لنا مما ذكرناه سابقا ما يلي:

أولا: يلاحظ من خلال ترصد وتتبع تطور المسار العلمي والأدبي للشيخ سحنون تمييزه بالموسوعية الثقافية التي أشاعت بنورها من إفريقيا إلى المغرب حتى الأندلس والتي أفرزت مما لا شك فيه مدرسة تشريعية وفقهية كان لها دورها الفعال (في تاريخ التشريع الإسلامي وفي تأصيل المذهب المالكي وتفريعه وحفظه ونشره على وجه أخص.[2]

وثالثا: إن المتتبع للحصيلة العلمية للشيخ سحنون ومساره العلمي والمهني ما عليه إلى أن يسلم أنها كانت جد إيجابية فهو لم يقتصر على وضع المناهج وتقويم أسسها وأنما تجاوز ذلك وانعكس بشكل مباشر في

---

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ص164-165.

[2] عبد العزيز المجذوب: مرجع سابق ص51.

التنمية البشرية أو ما يعرف ببناء الإنسان ففضله بارز في بناء جيل مؤمن ومتحمس لأفكاره ومنهجه العلمي والتربوي والدعوى في مواجهة أصحاب الأهواء والبدع والانحراف عن منهج السلف هذا الجيل الذي أصبح يمثل في المغرب في القرن 4 هجـــ/مدرسة ونخبة من القضاة والمفتين تحض الأمة من خطر المذهب الشيعي الذي كان يرمي إلى استئصال مذهب الصحابة والتابعين وذلك مؤشر إيجابي على نجاح جذور مدرسة القيروان في التكوين العلمي.

الخاتمة:

توصلت من خلال دار نشر هذه المتواضعة إلى أن الإسلام الذي أشاع بنوره في شبه الجزيرة العربية منذ القرن 7م، حملته جماعة من الصحابة والتابعين نحو الغرب الإسلامي في العصر الأموي في شكل مشروع سياسي وديني هدفه إزالة الاحتلال وإحداث نهضة اجتماعية وعلمية غير أن سوء سيرة ولاة بني أمية واستبدادهم وفسادهم حال دون تحقيق ذلك في القرن 7م نتيجة ثورات الخوارج والفتنة المذهبية وعليه تعطل ذلك المشروع إلى غاية بداية القرن الثاني هجـــ/8م عندما اعتلى العرش الخليفة الراشد الأموي عمر بن عبد العزيز 99-101-718-720 والذي وضع إستراتيجية ترمي أساسا إلى تجسيد القرآن والسنة على أرض الواقع واختار لذلك نخبة من التابعين ممن لهم الفضل والسبق في الفقه والأخلاق وبفضل هؤلاء أسلم مجموع البربر وعرف الناس الحلال والحرام وعلى يد هؤلاء تخرج الرعيل الأول من علماء القيروان ومنهم الشيخ سحنون الذي كان يعتبر بحق ظاهرة علمية متميزة ألقت بظلالها على إفريقية والمغرب والأندلس لما يتوفر عليه هذا الأخير من ملامح وصفات سلوكية وعلمية جعلت منه الإمام الذي أحيا السنة ووطد المذهب المالكي

والتزم الناس في عهده بالمذهب وتشبث به الجماهير الشعبية ويرجع الفضل إلى تلاميذه بحفظه والدفاع عنه رغم التحديات السياسية والمذهبية التي وجهت المنطقة في القرن 4 هجـ وما كانت المدونة إلا تراثا حفظ لمذهب الحجار أصوله وركز قواعده وعليه يمكن القول إن للشيخ سحنون منة وفضل في تجسيد مشروع الوحدة الدينية والاجتماعية والمذهبية للمغرب بفعل جهاده الذي حول مذهب السنة إلى حصن كما قلنا سابقا يقي المنطقة وشعوبها من الفتن وعزاً اكتسب من خلاله الشعب قومية قاوموا من خلالها الاستعمار سواء كان تحت شعار الصليب أوالتشيع وذاتية كونت (الشعب المغربي الإسلامي).

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن فرحون: كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب.

2) دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية.

3) الذهبي: سير أعلام النبلاء: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 /1417هجـ/1996م.

4) ابن خلدون: المقدمة: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان للطباعة والنشر، ط2: 1979م.

5) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان مكتبة النهضة المصرية ط1: 1367هجـ/1948م.

المراجع:

6) الزركلي: الاعلام، المطبعة العربية المصرية 1345هجـ/1928م.

7) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1365هجـ/1946م.

8) أندري جوليات: تاريخ إفريقيا الشمالية الدار التونسية للنشر.

9) عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية: الدار التونسية للنشر.

10) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي: دار الفكر البربري، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية 1973م.

11) أحمد أمين: ضحى الإسلام دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

12) دائرة المعارف الإسلامية.

13) المجلات: مجلة الثقافة.

14) مجلة الدراسات التاريخية: العدد 15-16. السنة 1433-1434هجـ/2012-2013م.